

روح المعاني

فى نسبة الكفر اليهم على أنه مخلوق لهم استقلالاً لادخل ﷻ تعالى فيه لتكون هذه الآية دليلاً على صرف ما تقدم عن ظاهره كما زعمه ابن خرب لأن أفعال العباد لها نسبة الى ﷻ تعالى باعتبار الخلق ونسبة الى العباد باعتبار الكسب بالمعنى الذي حققناه فيما تقدم وقوله تعالى : فتكونون سواء عطف على لة وتكفرون داخل معه في حكم التمني أى ودوا لو تكفرون فتكونون مستويين فى الكفر والضلال وجوز أن تكون كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ود أى ودوا كفركم تكفرون كما كفروا فتكونون سواء لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم أولياء الفاء فصيحة وجمع أولياء مراعاة لجمع المخاطبين فان المراد نهى كل من المخاطبين عن اتخاذ كل من المنافقين ولياً أى إذا كان حالهم ماذكر من الودادة فلا توالوهم . حتى يهاجروا في سبيل ﷻ أى حتى يؤمنوا وتحققوا إيمانهم بهجرة هى ﷻ تعالى ورسوله صلى ﷻ عليه و سلم للغرض من أغراض الدنيا وأصل السبيل الطريق واستعمل كثيراً فى الطريق الموصلة اليه تعالى وهي امثال الأوامر واجتناب النواهي والآية ظاهرة فى وجوب الهجرة . وقد نص في التيسير على أنها كانت فرضاً فى صدر الاسلام وللحجرة ثلاث استعمالات : أحدها الخروج من دار الكفر إلى دار الاسلام وهو الاستعمال المشهور وثانيها ترك المنهيات وثالثها الخروج الى القتال وعليه حمل الهجرة من قال : ان الآية نزلت فيمن رجع يوم أحد على ما حكاه خبر الشيخين وجزم به فى الخازن فإن تولوا أى أعرضوا عن الهجرة فى سبيل ﷻ تعالى كما قال ابن عباس رضى ﷻ تعالى عنهما فخذوهم إذا قدرتم عليه وأقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين أسرا وقتلا وقيل : المراد القتل لاغير إلا أن الامر بالأخذ على القتل عادة . ولاتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً أى جانبوهم مجانية كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبداً كما يشعر بذلك المضارع الدال على الاستمرار أو التكرير المفيد للتأكيد الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من الضمير فى قوله سبحانه : فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم بنى مدلج . أخرج ابن أبى شيبه وغيره عن الحسن أن سراقه بن مالك المدلجى حدثهم قال : لما ظهر رسول ﷻ صلى ﷻ عليه و سلم على أهل بدر وأسلم من حولهم قال سراقه : بلغنى أنه E يريد أن يبعث خالد بن الوليد الى قومه من بنى مدلج فأتيته فقلت : أنشدك النعمة فقالوا : مه فقال : دعوه ما تريد قلت : بلغني أنك تريد أن تبعث الى قومه وأنا أريد أن تواعدهم فان أسلموا قومك أسلموا ودخلوا فى الاسلام وإن لم يسلموا لم تخشى بقلوب قومك عليهم فأخذ

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال : اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم ومن وصل اليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم فأ نزل الله تعالى ودوا حتى بلغ إلا الذين يصلون فكان من وصل اليهم كانوا معهم على عهدهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الآية نزلت في هلال بن عويمر الألسلمي وسراقة بن مالك المدلجي وفي بنى جذيمة بن عامر